مركز الابحاث :
عشرة اعوام من التجربة

الدكتور انيس صايغ

ليس من متعة تساوي المتعة في الحديث عن مركز الابحاث الا متعة العمل في المركز ، وللمركز ، الى حد أخشى ان أتجاوز حدود الموضوعية اذا تناولت هذا الموضوع بالذات . وهذه الخشية هي التي كانت تدعوني دائما الى ان احول دون الكلام عن مركز الابحاث في هذه المجلة الصادرة عن المركز نفسه طيلة السنوات الاربع الماضية . الا ان اخواني في اسرة التحرير رأوا ان حرمان هذا العدد الخاص ، الحافل بالكلام عن انجازات الثورة الفلسطينية ومؤسساتها ، من مقال عن المركز الذي يسهم في خدمة الثورة بقدر طاقاته ويكـّون أحد مجالات العمل الفكري فيها انما هو تقصير بحق القارىء . ومع هذا ، اذ البي رغبة الاخوان ، اعترف ، منذ البدء ، بأني لا استطيع ان اكتب في هذا الموضوع بالذات دون ان أكون منحازا بعض الشيء ، ودون ان تصدر بعض الكلمات من القلب ، مهما حاولت ان التزم بالموضوعية التي ادعو اليها واحاول ان اطبقها في كل نتاج المركز :

ا. ص.

ان كان شعار « البندقية والقلم » ، الذي رفعته معظم الثورات والحركات التقدمية في العالم ، قد استهلك من كثرة اعلانه وترديده ، فان الثورة الفلسطينية قد جسدته بالفعل وبصورة ملموسة الآثار ، طيلة السنوات العشر التي مرت منذ مولدها . وقد نجحت الثورة في غرس فكرة حاجتها للبندقية وللقلم معا ، وفي آن واحد وفي معادلة منصفة ، بحيث انتشرت في الساحة الفلسطينية قناعة عامة بأن لا سبيل الى النصر الا باستمرار هذا اللقاء ، بل الاندماج ، بين الرصاصة والكلمة ، او قل بين القـــوة والمعرفة ، او بين السلاح والفكر . ولعل هذه القناعة هي التي قطعت الطريق ، او كادت ، على أصوات كثيرا ما كنا نسمعها (ونتألم لسماعها) ، فيما مضى : نسمعها تهمس احيانا على لسان بعض « المثاليين » بأن يتريث النضال المسلح الى ان تكتمل ثقافة الشعب وينهض محصنا بالمدارس والكتب كشرط اساسي قبل اشتعال الثورة ، ونسمعها تصرخ ، احيانا اخرى ، على السنة بعض « الجماهيريين » ، بأن تمضي الثورة لوحدها دون ان تلهي نفسها بالنظريات والمطالعات لان الكتاب لن يقتل عدوا ولن يصد غارة . وان كان بعض هذا الكلام يتردد من حين الى آخر ، وفي المناسبات ، فان الخوض فيه أصبح بشكل عام ترفا وسفسطة يمتنع عنهما أغلب الناس ، خاصة الثوار الذين اقتنعوا بملازمة الحرف للرصاص والعقل للساعد .

عمليا ، انشأت منظمة التحرير الفلسطينية ، التي قامت في ١٩٦٤ ، مركز الابحاث بعد أشهر قليلة فقط من انشائها لجيش التحرير الفلسطيني ، وبعد شهرين فقط من